

لاحظت الباحثة أنّ هذه البحوث السادسة تناولت المجاز المرسل من جوانب مختلفة مع أنّه في نفس السورة، حيث تناولها البحث الأول من ناحية القصر في سورة الأعراف من حيث تعريفه وأقسامه وأدواته ومواقعه، والثاني من ناحية حرف إن في سورة يس والأنعام والأعراف، والثالثة من ناحية حروف الإستفهام ووظيفتها في سورة الأعراف، والرابعة من ناحية تغيير المعنى في الأفعال المزيدة في سورة الأعراف، والخامسة من ناحية المجاز المرسل في شعر بشار بن برد، والسادسة من ناحية الطباق والمقابلة في سورة الأعراف. والسابعة من ناحية كان في سورة الأعراف وهذه البحوث السادسة تختلف عن هذا البحث الذي تقوم به الباحثة حيث أنّ الأخير تناولت سورة الأعراف من ناحية المجاز المرسل وفوائده.

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الأول: المجاز المرسل وعلاقته ومكانته وفوائده

أ. مفهوم المجاز المرسل

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوز إذا تعداه سمواً به اللفظ الذي يعدل به عمّا بوجه أصل الوضع لأنهم جازوا به موضعه الأصلي، والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد

تعرضه على عيان السامع. لهذا سغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الإتساع الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معان الألفاظ. المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها. فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل^{١٠}. المجاز نوعان هو المجاز العقل والمجاز اللغوي. إن المجاز اللغوي هو نوعان مجاز إستعاري علاقته المشابهة^{١١}. وعبد العزيز عتيق قال المجاز اللغوي أنه قسمان: مجاز استعاري، وهو ما كانت العلاقة المشابهة، والمجاز المرسل وهو ما كانت علاقته غير المشابهة والمجاز اللغوي بقسومية يأتي في المركب والمفرد على السواء وأن مجيئة في المركب يكون باستعمال التركيب في غير ما وضع له. كقولك لمن يسيء إليك وينتظر منك حسن الجزء: (إنك لا تجني من الشوك العنب) أما مجيئة في اللفظ المفرد فيكون باستعمال الكلمة في غير ما وضعت له أصلا لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي^{١٢}.

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي^{١٣}. وكما في قول آخر المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين، وسمي مرسلًا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتمدة في الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعنيين المتشابهين حتى يدعى اتحادهما أو لأنه أرسل أي أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة^{١٤}. وعلى الجارم ومصطفى أمين قال المجاز المرسل كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة

^{١٠} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م)، ص: ٢٣١-٢٣٢

^{١١} إنعام فول عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع، البيان، المعاني، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م)، ص: ٦٣٩.

^{١٢} عبد العزيز عتيق، علم البيان، (القاهرة: دار الأفق العربية، ٢٠٠٦ م)، ص: ١٠٨

^{١٣} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م)، ص: ٢٣٢

^{١٤} بسويو عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨ م)، ص: ١٣٤

غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي^{١٥}. أو كما في قول آخر هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، ويجب أن تكون هناك قرينة تمنع المعنى الأصلي اللفظ، وهو كلمة لها معنى أصلي لكنها تستعمل في معنى آخر على أن يوجد علاقة بين النعنين دون أن تكون علاقة مشابهة، وتعرف تلك العلاقة من المعنى الجديد المستخدمة فيه الكلمة. ولذلك عند رأي الباحثة المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له مناسبة غير المشابهة.

أما المجاز المرسل فهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ما وضع له ملائمة مناسبة غير المشابهة. كقولنا: أمطرت السماء نباتا، فالعلاقة بين النبات والغيث المسببية إذ النبات مسبب عن الغيث، وقوله تعالى:

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ
 الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ^{١٦} فالعلاقة بين الأصابع والأنامل الكلية إذ الأنملة جزء من الإصبع. وفي مثل آخر "قبضنا على عين من عيون الأعداء" فلفظ "عين" هنا ليس المقصود منها العين الحقيقية وإنما المقصود منها الجسوس، والقرينة التي تمنع المعنى الأصلي اللفظ هنا أنه لا يمكن القبض على العين فقط دون بقية جسد الجاسوس.

إن عناصر المجاز المرسل نوعان هما العلاقة والقرينة ويعرف البلاغيون "العلاقة"، بأنها الأمر الذي يقع به الإرتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني وهذه العلاقة التي تربط في المجاز بين المعنيين: الحقيقي والمجازي قد تكون ((المشابهة)) نحو: رأيت زهرة يحملها أمها، تريد: الطفلة كالزهرة في نظارتها وجمالها. وقد تكون العلاقة ((غير المشابهة)) كالجزئية في قوله تعالى وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

^{١٥} على الجارم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة (جاكرتا: روضة فريس، ٢٠٠٧م) ص: ١١٩.

^{١٦} سورة البقرة آية: ١٩

وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ^{١٧} (البقرة) يريد ((وصلوا)) لأن الركوع جزء من الصلاة فأطلق الجزء وأريد به الكل مجازا. وأما "القرينة" فعرفها البلاغيون أيضا بأنها الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهي إما قرينة العقلية أي حالية. نحو: "أقبل بجر" والسامع يرى رجلا. وأما القرينة فاللفظية نحو: "رأيت بحرا يعظ الناس من فوق المنبر" فعبارة "يعظ الناس من فوق المنبر" قرينة لفظية، تدل على أن لفظة "بجر" استعملت استعمالا مجازيا وتمنع في الوقت ذاته من إرادة المعنى الحقيقي لهذه اللفظة^{١٨}.

والمجاز المرسل، كما عرفه جلال الدين محمد بن عبد الرحمن والخطيب القزويني، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وُضع له ملابسة غير المشابهة، وذلك مثل لفظة "اليد" إذا استعملت في معنى "النعمة" لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها. وقد سماه البلاغيون "مجازا مرسلًا" لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة^{١٩}. وهذا سمي المجاز بالمجاز المرسل، لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة، كما هو الحال الاستعارة المقيدة بعلاقة المشابهة فقط، ولأن علاقاته كثيرة.

وقد اشترط عبد القاهر الجرجاني في ذلك أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك النعمة وإلى المولي لها: اتسعت "اليد" في البلاد، أو اقتنيت "يدا" كما يقال: اتسعت النعمة في البلاد أو اقتنيت نعمة، إنما يقال جلت "يده" وكثرت أياديه لديّ ونحو ذلك. ونظير هذا "اليد" في معنى "القدرة" لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة في اليد، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والوضع والرفع، إلى سائر الأفعال التي تنبئ عن وجود القدرة ومكانها.

ب. علاقات المجاز المرسل

^{١٧} سورة البقرة آية: ٤٣

^{١٨} عبد العزيز عتيق، علم البيان، (القاهرة: دار الأفاق العربية، ٢٠٠٦). ص: ١٠٨

^{١٩} جلال الدين محمد بن عبد الرحمن والخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، (دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٠٤م)،

وعلاقة المجاز المرسل معناها: أن يكون هناك تلازم وترايط يجمع بين المعنيين و يسوغ استعمال أحد هما في موضع الآخر^{٢٠}. تقوم العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي على علاقات كثيرة متنوعة.

وهذه العلاقات كثيرة أشهرها ما يلي:

❖ العلاقة السببية.

وهي أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببا في المعنى المراد، فيطلق السبب على المسبب والمجاز بهذه العلاقة كثير في استعمالات العرب^{٢١}. أو عندما نعبر بالسبب عن المسبب. مثل: "رعينا الغيث" فالغيث: المجاز المرسل والعلاقة السببية، لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو "النبات" وقرينة المجاز في مثل هذا التعبير هو إبراز مدى أهمية الغيث وفرحهم به وأثره في نفوسهم حتى كأنه هو المرعى لا النبات، حيث أن الغيث سبب للنبات فعبر بالسبب عن السبب.

وقوله تعالى: **الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**^{٢٢} فالاعتداء الأول والثالث قد استعملا استعمالا حقيقيا والاعتدى الثاني استعمالا استعمالا مجازيا، لأن المراد به، المجازة والقصاص، فعبر بالسبب وهو الاعتداء عن المسبب وهو الجزاء والقصاص على سبيل المجاز المرسل.

❖ العلاقة المسببية.

^{٢٠} بسويبي عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٣٤

^{٢١} نفس المرجع.

^{٢٢} سورة البقرة آية: ١٩٤

وهي أن يذكر المسبب و يراد السبب بأن يكون المعنى الأصلي للفعل المذكور مسبباً عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب^{٢٣}. أو عندما نعبر بالمسبب عن السبب. مثل: أمطرت السماء نباتاً، أي: ماء فذكروا المسبب "نباتاً" وأرادوا السبب "ماء" فهو المجاز المرسل وعلاقته مسببية.

كما قال تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ^{٢٤} تَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ^{٢٥} أي أنزل لكم الماء الذي تشربه الأنعام والذي ينبت النبات فترعاه الأنعام فذكر المسبب وهو الأنعام في موضع السبب وهو الماء وفيه إشارة إلى قوة المسببية.

❖ العلاقة الجزئية.

وهي أن يذكر الجزء ويراد الكل. أو باعتبار هذه العلاقة يطلق إسم الجزء على الكل^{٢٥}، أو نعبر بالجزء ونريد الكل. كما قوله عز وجل: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ^{٢٦} فقد عبر عن الصلاة في هذه الآيات بالسجود وهو ركن من أركانها وذلك عن طريق المجاز المرسل وعلاقته جزئية.

❖ العلاقة الكلية.

^{٢٣} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٣٨.

^{٢٤} سورة الزمر آية: ٦.

^{٢٥} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٤٠.

^{٢٦} سورة الحجر آية: ٩٨.

وهي أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل أي يطلق اسم الكل و يراد جزئه^{٢٧}، أو نعبر بالكل ونريد الجزء.

كقوله تعالى: **إِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**^{٢٨} كما عرفنا جميعا أن الإنسان لا يستطيع أن يضع إصبعه كلها في أذنه، وأن الأصابع في الآية الكريمة أطلقت وأريد أطرافها فهي المجاز المرسل وعلاقته كلية.

❖ العلاقة المحلية.

وهي أن يذكر اسم المحل ويراد الحال به. أو كون الشيء يحل فيه غيره^{٢٩}، أي عندما نعبر بلفظ المحل نريد الموجود فيه.

كما قال تعالى: **وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**^{٣٠} أما المراد من هذه الآية فهي أهل القرية وأصحاب العير، فإطلاق القرية وإرادة أهل القرية يسمى بالمجاز المرسل وعلاقته محلية.

❖ العلاقة الحالية.

وهي أن يذكر اسم الحال ويراد المحل^{٣١} أي عندما نعبر بلفظ الحال ونريد المكان نفسه. كما في قوله تعالى: **وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**

^{٢٧} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٤٣

^{٢٨} سورة نوح آية ٧.

^{٢٩} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٤٥

^{٣٠} سورة يوسف آية ٨٢.

^{٣١} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٤٥

^{٣٢} فالمراد برحمة الله: جنته، لأن الرحمة حالة فيها تسمية للشيء باسم ما يحل به. فإطلاق الحال (الرحمة) وإرادة محلها (الجنة) يسمى بالمجاز المرسل وعلاقته حالية.

❖ العلاقة اعتبار ما كان.

وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل أي النظر الى الماضي ^{٣٣}، أي التعبير بالماضي عن الحاضر. كما قال تعالى: **وَأَتُوا آلَيْتَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ^ط وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَنِيثَ بِالطَّيِّبِ^ط وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ^ج إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا^{٣٤}** فاليتيم من مات أبوه ولم يبلغ سن، الرشد وهو لا تسلم إليه أمواله لعجزه عن التصرف فيها في هذه السن، وإنما تدفع إليه بعد أن يتجاوز سن اليتيم ويصير رشيدا فتسميتهم "يتامى" عندئذ باعتبار ما كان قبل ذلك.

❖ العلاقة اعتبار ما يكون.

وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يؤل إليه في المستقبل أي النظر الى المستقبل ^{٣٥}، أي التعبير بالمستقبل عن الحاضر. ونحو قوله تعالى على لسان أحد الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام: **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ^ط قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي أَعْصِرُ خَمْرًا^ط وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتًا^ط بِنْتَاؤِيلِهِ^ط إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ^{٣٦}** يريد عبا يؤل عصيره الى خمر، لأن

^{٣٢} سورة آل عمران آية: ١٠٧

^{٣٣} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٤٤

^{٣٤} سورة النساء آية: ٢

^{٣٥} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة،

١٩٩٨م)، ص: ١٤٥

^{٣٦} سورة يوسف آية: ٣٦

الخمر عصير والعصير لا يعصر، وإيثار لفظ الخمر بالتعبير ينبئ بالإثم الذي يرتكبه العاصر لا يعصر عنباً، وإنما يعصر خمراً. فإطلاق الخمر وإرادة العنب يسمى بالمجاز المرسل وعلاقته اعتبار ما يكون.

ج. مكانة المجاز المرسل في علم البلاغة

علم البلاغة هو علم بحث عن طرائق رتب الكلمة الصحيح وعلامات عالية عند الشعر^{٣٧}. إن الغرض الرئيسي من علم بلاغة هو علم معاني للمحافظة أخطاء معنى بهدف الكلام والكتابة، وعلم بيان للمحافظة فهم معنى الذي ليس معروفاً، وعلم البديع لتعيين بناء الجملة الحسنة والجملة الجيدة^{٣٨}. والبيان في اللغة، معناه الظهور والوضوح والإفصاح، وما بين به الشيء من الدلالة وغيرها. ابن منظور في كتاب لسان العرب قال، البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم، وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور^{٣٩}.

إن في علم بيان بحث عن التشبيه والمجاز والكناية، وأما المجاز قسمان المجاز العقلي والمجاز الاستعارة. والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع. لهذا سغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الإتساع الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معان الألفاظ. ولما فيها من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحية ولأمر ما كثر في كلامهم^{٤٠}.

ج. فوائد المجاز المرسل

ثم إن المجاز المرسل على أنواعه، وكذلك العقل على أقسامه، فوائد كثيرة:

^{٣٧} Imam Akhdori (alih bahasa: moch. anwar). *Ilmu Balaghah Tarjamah Jauhar Maknun*, hal ٣.

^{٣٨} Ibid, hal ١٥.

^{٣٩} بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القارة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م)، ص: ١٣.

^{٤٠} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، (بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م)، ص: ٢٣١.

- أ. الإيجاز. فإن قوله: (بنى الأمير المدينة) أوجز من (بنى موظف الأمير من المهندسين المدينة أو البنائين في المدينة).
- ب. سعة اللفظ. لو لم يوجز لكنت العبارة: جرى ماء النهر، فلفظ النهر يسع الماء الذي فيه. كان لكل معنى تركيباً واحداً.
- ج. إيراد المعنى في صورة دقيقة مقربة إلى الذهن، إلى غير ذلك من الفوائد البلاغية^{٤١}.

المبحث الثاني: التعريف عن سورة الأعراف

أ. التعريف

أنزل الله هذه السورة في مكة ولذلك يسمى بسورة المكية وهي مئتان وست آيات. سميت هذه السورة بسورة الأعراف لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهي سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلها، قال ابن جرير الطبري: الأعراف جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه. روى ابن جرير الطبري عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف، هم قوم استوت حسناهم وسيئاتهم، فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناهم عن النار، فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم^{٤٢}.

نزلت هذه السورة لتفصيل قصص الأنبياء وبيان أصول العقيدة، وهي كالسورة الأنعام بل كالبيان لها، لإثبات توحيد الله عز وجل، وتقرير البعث والجزاء، وأثبات الوحي

^{٤١} على بن نايف الشهود، الخلاصة في علم البلاغة، (مجهول المكان: المكتبة الشاملة، مجهول السنة)، ص: ٤٢

^{٤٢} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥)، ص: ٤٩٠

والرسالة، ولاسيما عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم^{٤٣}. سورة الأعراف من أطوال السور المكية، وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء، ومهمتها كمهمة السور المكية، تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا، وتقرير البعث والجزء، وتقرير الوحي والرسالة^{٤٤}.

تعرضت السورة الكريمة في بدء آياتها للقرآن العظيم معجزة محمد الخالدة، وقررت أن هذا القرآن نعمة من الرحمن على الإنسانية، فعليهم أن تستمسكوا بتوجيهاته وإرشاداته ليفوزوا بسعادة الدارين^{٤٥}.

أ. ما اشتملت عليه السورة

تضمنت سورة الأعراف التي هي من أطول السور المكية ما يلي من مبادئ العقيدة الإسلامية^{٤٦}:

١. القرآن كلام الله : افتتحت السورة بالتنوية بالقرآن العظيم معجزة الرسول الخالدة، وأنه نعمة من الله، و أنه يجب اتباع تعاليمه.
 ٢. أبوة آدم عليه السلام : الناس جميعا من أب واحد، و إلى تكريم الله لهذا النوع الإنساني ممثلا من أب البشر آدم عليه السلام الذي أمر الله الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحية، ثم حذرت من كيد الشيطان ذلك العدو المتربص الذي قعد على طريق الناس ليصدهم عن الهدى ويعددهم عن جالقهم، والشيطان عدو الإنسان.
- وقد ذكر تعالى قصة آدم مع إبليس وخروجه من الجنة، وهبوطه إلى الأرض كنموذج للصراع بين الخير والشر، والحق بالباطل وبيان لكيد إبليس لآدم وذريته، ولهذا وجه الله

^{٤٣} وهبة الزحلي، المرجع السابق.

^{٤٤} محمد الصابوني، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨١م)، ص: ٤٣٤.

^{٤٥} محمد الصابوني، المرجع السابق.

^{٤٦} وهبة الزحلي، المرجع السابق. ص: ٤٩١

إلى أبناء آدم بعد أن بين لهم عدواة إبليس لأبيهم أربعة نداءات متتالية بوصف النبوة لآدم (يا بني آدم) وهو نداء خاص بهذه السورة يحذرهم بها من عدوهم الذي نشأ على عدواتهم من قديم الزمن حين وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في الزلة والمخالفة لأمر الله^{٤٧} (يَبْنِي ۚ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَئِكُمْ ۙ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)^{٤٨}

٣. إثبات التوحيد: وقد ختمت السورة الكريمة بإثبات التوحيد، والتهكم بمن عبدوا ما لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، من أحجار وأصنام اتخذوها شركاء مع الله، وهو جل وعلا وحده الذي خلقهم وصوّرهم ويعلم متقلبهم ومثوهم، وهو الإقرار بوحدانية الله، وعبادته وحده، وإخلاص الدين له، والاعتراف بحقه وحده في التشريع والتحليل والتحریم: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ^{٤٩}. وهكذا ختمت السورة الكريمة بالتوحيد كما بدأت بالتوحيد، فكانت

الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الرب المعبود في البدء والختام.

٤. الوحي والرسالة: الوحي ثابت يتضمن هنا إنزال القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وجوهرها لتكليف بالرسالة الإلهية، وبعثة الرسل إلى الناس: يَبْنِي ۚ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۗ آيَاتِي ۗ فَمَن اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^{٥٠}.

^{٤٧} محمد الصابوني، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨١م)، ص: ٤٣٤.

^{٤٨} سورة الأعراف آية: ٢٧

^{٤٩} سورة الأعراف آية: ٣

^{٥٠} الأعراف سورة آية: ٣٥

٥. تقرير البعث والجزاء في عالم الآخرة: تضمنت السورة الكلام عن البعث والإعادة يوم القيامة (كما بدأكم تعودون) والجزاء والحساب وانقسام الناس بسببه إلى فرق ثلاث: فرقة المؤمنين الناحين أهل الجنة، وفرقة الكافرين الهالكين أهل النار، وأصحاب الأعراف وهو سور بين الجنة والنار.

٦. أدلة وجود الله: أقام الله تعالى الأدلة الكثيرة على وجوده مثل خلق السموات والأرض في ستة أيام، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والنجوم بأمر الله، وإخراج الثمارت من الأرض.

٧. التهديد بالإهلاك: أهلك الله الأمم الظالمة عبرة لغيرها، وأنذر الناس بإنزال العذاب المماثل، ورغب بالإيمان والعمال الصالح لإفاضته الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^{٥١}). وكذا لإرث الأرض والاستخلاف على الآخرين: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءِٰهْتَكَ^{٥٢} قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ^{٥٢}.

٨. قصص الأنبياء: أورد الله تعالى مجموعة من قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، للتذكير بأحوال المكذبين أنبياءهم، وللعظة والعبرة، ومن أدلها قصة موسى مع الطاغية فرعون، وعقاب بني إسرائيل بالمسخ قردة وخنازير لما خلفوا أمر الله. وتشبيهه عمل السوء بالكلب: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

^{٥١} سورة الأعراف آية: ٩٦

^{٥٢} سورة الأعراف آية: ١٢٨

وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ^{٥٣} فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ^{٥٤}
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا^{٥٥} فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^{٥٦}.

وتلك لعمر الحق أقبح صورة مزرية لمن رزقه الله العلم النافع فاستعمله لجمع الحطام الفاني وكان خزيا ووبالا عليه، لأنه لم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان وانسلخ من النعمة، وأتبعه الشيطان فكان من الغاوين.

وقد ابتدأت بشيخ الأنبياء "نوح" عليه السلام وما لاقاه من قومه وجنود عناد، وتكذيب وإعراض، وقد ذكرت بالتفصيل قصة الكليم موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية، وتحدثت عما نال بني إسرائيل من بلاء وشدة ثم من امن و رخاء ولما بدلوا نعمة الله وخلفوا أمره عاقبهم الله تعالى بالمسخ إلى قردة وخنزير^{٥٧}.

٩. التهديد بعبادة الأصنام، والتهكم بمن عبد مالا ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، من أحجار وهياكل، وذلك كله لتقرير مبدأ التوحيد الذي ختمت به السورة كما بدئت به.
١٠. مشهد من المشاهد الواقعة يوم القيامة، مشهد الفرق الثلاثة وما يدور بينهم ومناظرة: فرقة المؤمنين أصحاب الجنة، وفرقة الكافرين أصحاب النار، وفرقة ثالثة لم يتحدث عنها القرآن إلا في هذه السورة، وهي الفرقة التي سميت بأصحاب الأعراف وسميت باسمها السورة (سورة الأعراف) مشهد سوف يشهد العالم يوم البعث والجزاء على الحقيقة دون تمثيل ولا تحييل، تبين ما تكون فيه من شماتة أهل الحق (أصحاب الجنة) بالمبطلين أصحاب النار، وينطلق صوت علوي يسجل عليهم اللعنة والطرده والحرمان، وقد ضرب الفريقين بحجاب ووقف عليه رجال يعرفون كلاً بسيماهم، يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه ونظرتها، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وقترتها^{٥٨}.

^{٥٣} سورة الأعراف آية: ١٧٦

^{٥٤} محمد الصابوني، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨١م)، ص: ٤٣٥.

^{٥٥} المرجع السابق، ص: ٤٣٥-٤٣٤.